مجلة الرائد

العدد : ١٩٣ الموافق في جمادى الأولى ١٤١٨ هجري ١٩٩٧/١٠ ميلادي

عنوان المقال : عالجوا أسباب الإرهاب	بقلم : صلاح الدين النكدلي

كان حادث تفجير حافلة سياحية في القاهرة يوم ١٩٩٧/٩/١٦م ، والذي أودى بحياة تسعة من السياح الألمان ، والسائق المصري ، وخلف عشرات الجرحى ، مناسبةً للحديث عن "ظاهرة الإرهاب" وأسباب انتشاره في كثير من بلدان العالم.

ولا يتردد مسلم في استنكار أعمال العنف والتنديد بكل عمل يزهق أرواح الأبرياء الآمنين ، بصرف النظر عن دين وجنس ولون الذين يمارسون الإرهاب أو الذين يذهبون ضحيته ، كيف يتردد وهو يقرأ قول الله تبارك وتعالى : { **من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً** } [المائدة:٣٢].

وكما أن إنكار التصرفات المؤذية والمزهقة لحياة الإنسان واجب لا يصح التخلي عنه... فإن البحث عن الأسباب الحقيقية المحرضة على القيام بأعمال إرهابية أكثر وجوباً ، لأن معرفة الدوافع أول طريق معالجة هذه الظاهرة المفسدة في الأرض ، والتي تصر قوى عالمية ومحلية على إقصاء البحث عن الأسباب من دائرة الاهتمام.

فما هي أسباب العنف والإرهاب ؟

إن السبب الرئيس لبروز الأعمال الإرهابية والعنفية كامن في الابتعاد عن الحلول الحقيقية لاختلال التوازن في العلاقات بين قوى شعب واحد ، أو بين شعبين أو أكثر. لأن عدم وجود حلول للأزمات يؤدي إلى تراكم مقولات وتفسيرات تعتمد على ثقافة ومصالح ، وقد تفرز تلك المقولات منظومة فكرية تبيح لأصحابها القيام بأعمال تفوح منها رائحة الدماء ، وتجلب - إذا اتسع نطاقها - الدمار النفسي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي للجماعات والشعوب.

هذه الحقيق نراها في مواطن كثيرة... نذكر منها :

١- **إسبانيا** : التي تعاني منذ عقود من النزاع القومي المتمثل في رغبة شعب الباسك في تحقيق وجوده القومي وتكوين دولته ، وحين اصطدمت هذه الرغبة بإنكارها وملاحقة أصحابها برزت منظمة ETA التي تبنت القيام بأعمال إرهابية مثل : مهاجمة مراكز الشرطة ، ووضع متفجرات في الأماكن السياحية ، وتفجير سيارات ، واختطاف أرباب مال وأعمال وموظفين كبار وقتل بعضهم... الخ. وقد فشلت محاولات الخروج من الأزمة المزعجة على الرغم من الزعم بأن السعي مستمر.

٢- **إيرلندا الشمالية** : اعتمد الكاثوليك في إيرلندا الشمالية على العصبية المذهبية والقومية في المطالبة بالانفصال عن بريطانيا العظمى ، وحين انسدت قنوات التفاهم مع السلطة المركزية ظهرت منظمة الجيش الجمهوري (IRA) التي تبنت العمل الملح لإزعاج الحكومة وإرغامها على التفاوض بخصوص مستقبل الإقليم وانتقلت الحكومات البريطانية المتتابعة من موقف الرفض الكامل لأي تفاوض إلى الاستعداد لتناول الموضوع مع أطراف النزاع الداخلية والخارجية ، وكان للوساطة الأمريكية تأثير في التوصل إلى هذا الرأي.

٣- **الفلبين** : شعر المسلمون في الجزر التي يشكلون أغلبية السكان فيها أن هناك هجرة منظمة تهدف إلى جعلهم أقلية في مواطنهم ، وأن هناك إبعاداً متعمداً لهم عن مراكز السلطة في جزرهم ، وأن ثقافتهم الإسلامية تحاصر من قبل السلطة المركزية في دولة الفلبين الحديثة ، فلما لم تستجب الحكومات لمطالبهم في الحفاظ على خصائص منطقتهم أدى ذلك إلى ظهور جماعات حملت السلاح وسيلة تعبير عن رفض سلوكيات السلطة المركزية ، وبعد سنوات من المواجهات الساخنة توصل طرفا النزاع إلى حلول نرجو أن توقف حمامات الدم والدمار.

٤- **كشمير** : وسبب محنتها راجع إلى عدم الوفاء بشروط تقسيم القارة الهندية ، حيث نصت على أن الأقاليم التي يشكل المسلمون أغلبية سكانها فإن من حقها أن تنضم إلى باكستان ، ولكن الهند رفضت ذلك ، وباشرت بأعمال تهدف إلى تغيير التركيبة السكانية ، وإلى إضعاف الانتماء الإسلامي. وهذا دفع قوى كشميرية إلى الاحتجاج ، ووصل فريق منهم إلى حمل السلاح والقيام بأعمال تزعج السلطة ، وتنقل قضيتهم إلى المحافل الدولية ، وكانت هذه الأزمة سبباً في حربين طاحنتين بين الهند والباكستان ، وهناك الآن محاولات للتفاوض بين الدولتين على إقليم كشمير ، وهي مفاوضات متعثرة ، ونرجو لها النجاح.

٥- **فلسطين** : وترجع ردود أفعال أبناء فلسطين هذه الأيام إلى سببين : أصلي وفرعي ؛ أما **السبب الأصلي** فإنه القرار الجائر الظالم الذي اتخذته أوروبا ممثلة في بريطانيا العظمى والقاضي بإقامة دولة قومية لليهود في أرض فلسطين ، ونتج عن هذا ما هو معروف من هجرة اليهود إلى فلسطين وتهجير أبناء فلسطين ، وها هي مجتمعات اللاجئين داخل فلسطين وخارجها تذكر صباح مساء بهذه الجريمة الشنعاء ، التي ما تزال حراب الغرب وسلطانه السياسي والاقتصادي مستمرة في حماية الكيان

الجائر.

أما **السبب الفرع** فيتمثل بالإذلال والاحتقار ، ومصادرة الأراضي ، وإقامة المستوطنات ، وفرض الأمر الواقع بالقوة... وذلك على الرغم من معاهدات اعتراف منظمة التحرير بالكيان الصهيوني ورعاية أمريكا لاتفاقات أوسلو الاستسلامية !!

٦- **الجزائر** : منذ استقلال الجزائر عن فرنسا عام ١٩٦٢م قام فيها نظام العسكر الاستبدادي ، فتجمعت عوامل دفعت مجموعات إلى التفكير بمقاومته بالسلاح ، ثم جاءت حوادث عام ١٩٨٨م وأطلقت الحكومة الحريات وأذنت بتشكيل أحزاب وإجراء انتخابات ، وتوارت جماعات العمل المسلح ، فلما بدت بوادر فوز ساحق للجبهة الإسلامية للإنقاذ وانقض العسكر على السلطة ، فأزاحوا رئيس الجمهورية ، وأوقفوا المسار الانتخابي وقمعوا الحريات... أطل قرن العنف... ومن يومها فإن الدماء تسيل والأرواح تُزهق والدمار ينتشر... وتطورت الأمور إلى ألوان من القتل الوحشي للكبار والصغار والنساء والرجال... ولم يعد أحد قادراً على إيقاف المجزرة الرهيبة أو معرفة القتلة الحقيقيين !!

٧- **مصر** : ونعود إلى مصر... فقد سبقت مصر معظم الشرق الإسلامي بالعلم ، وتخرج من مدارسها ومعاهدها وجامعاتها أجيال أخذت بقسط وافر من المعرفة ، وهذا أثر على التكوين الفكري والاجتماعي ، وباتت جماعات مثقفة تشعر بأن لها دوراً في إنهاض الأمة والمشاركة في الحياة العامة... هذه الجماعات اصطدمت بنظام سياسي يعتمد على الجيش ومؤسسات أقامها لحمايته... فلما يئست جماعات من حدوث تغييرات تسمح لها بدور مناسب... تراكمت الحساسيات فولدت منظومات متقاربة وتعتمد جميعها على فكرة مقاومة الحاكم بالسلاح.

وشهدت أرض الكنانة مواجهات عنيفة بين الجماعات المسلحة وبين نظام الحكم ، وارتفعت أصوات تدعو إلى التفاهم ، ولكن السلطة آثرت "الحل الأمني" ، ورفضت كل محاولات الوساطة... وظنت أنها قمعت المعارضة المسلحة... ولكنها في كل مرة توحي بذلك يأتي ما ينقض هذا الادعاء.

* * *

من هذا العرض الموجز لانتشار ظاهرة الإرهاب يتبين لنا أن الأزمة الحقيقية كامنة في عجز أطراف النزاع عن العثور على صيغة تفاهم تنزع فتيل المواجهات الدامية ، ويظهر العرض لكل

عنوان المقال : عالجوا أسباب الإرهاب	بقلم : صلاح الدين النكدلي

منصف أن دور الحكومات أساسي ، إذ يجب على نظام الحكم ألا يحصر نفسه في أحكام منظمته الفكرية ورؤيته المصلحية ، ولا يصح أن يغمض عينيه عن رؤية المتغيرات العميقة والحاجات الضرورية التي تحيط به من كل مكان.

لقد بات واضحاً للذين لا ينظرون إلى ظاهرة عمليات الإرهاب أن **عنف السلطة** الحاكمة ، أو تجاهلها للمشكلات الجوهرية ، هو المسؤول عن **عنف المعارضة** ، وأنه آن الأوان لكي تراجع الحكومات خياراتها السياسية والأمنية ، إذا أرادت لعاصفة الإرهاب أن تهدأ.

وهذه الحقيقة لا تعفينا من إدانة **عنف المعارضة** ، كالذي حدث في القاهرة ، لأن الإنسان العاقل لا يلجأ إلى أسلوب غير حضاري في مواجهة المشكلات التي تعترضه ، بل عليه أن يعتصم بأخلاق وأعمال تدل على أنه ليس كرجال نظام الحكم ، يفكر في السلاح لحسم الخلاف السياسي.

إننا ندعو جميع أطراف النزاعات إلى تحكيم العقل ومصلحة العباد والبلاد عندما يحتدم الخلاف ، وإلى البعد عن التهديد باستعمال القوة ، وهذا لا يتأتى إلا بالتوقف عن الظلم ، وإلا برد الحقوق إلى أصحابها على المستوى الداخلي ، بين الحاكم والمحكوم ، وعلى المستوى الدولي بين الدول.